

MODERNITY AND POSTMODERNITY. FOUNDATIONS AND BACKGROUNDS

Hanane Hetatache¹, Fatiha Kahlouche²

^{1,2}University of Mohamed Lamine Debaghine Setif 2, Faculty of Arts and Languages, Narratives
and Cultural Patterns Informant (Algeria)

The E-mail Author: hananehetatache0@gmail.com¹, fatihakahlouche@gmail.com²

Received: 06/2023 Published: 02/2024

Summary:

The question of modernity and postmodernity is one of the most important topics that has aroused great interest and widespread debate in various fields of human thought in general, and in literary criticism in particular. In examining the trajectory of modernity and postmodernity in Western philosophical and literary thought, one can observe significant contradictions and differences between them. It would seem that postmodernity has emerged to negate and replace modernity. But that postmodernity has emerged to negate and replace modernity. But the truth is not so simple. As long as modernity remains an unfinished project, according to some critics, postmodernity has emerged to continue the Western intellectual journey and to complete and complement the project of modernity. It serves as a servant of Western thought, reinforcing its centrality and power.

Keywords: modernity, postmodernity, concepts, backgrounds, theories, critique.

الحدائثة و ما بعد الحدائثة الأسس و الخلفيات

حنان حططاش¹، أ.د فتيحة كحلوش²

2,1 جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، كلية الآداب واللغات، مخبر السرديات والأنساق الثقافية (الجزائر)

ملخص:

تعتبر قضية الحادثة و ما بعد الحادثة من أهم القضايا التي أثارت اهتماما كبيرا و جدلا واسعا في معظم مجالات الفكر الإنساني عموما، و في مجال النقد الأدبي على وجه الخصوص، ثم إن المتتبع لمسار الحادثة و ما بعد الحادثة في تاريخ الفكر الفلسفي و الأدبي الغربيين يلحظ بينهما تعارضا و اختلافا كبيرين، حيث يبدو أن الأخيرة "ما بعد الحادثة" جاءت لتلغي الأولى "الحادثة" و تزجها و تحل محلها، إلا أن الحقيقة ليست كذلك، فما دامت الحادثة مشروعاً لم يكتمل بعد كما يرى بعض النقاد، فإن ما بعد الحادثة جاءت لتواصل مسيرة الفكر الغربي، ولتكمّل مشروع الحادثة و تتمه، ليكون مشروعاً خادماً للفكر الغربي معززا لمركزته و سلطته.

الكلمات المفتاحية: الحادثة، ما بعد الحادثة، مفاهيم، خلفيات، مقولات، نقد.

مقدمة:

تعد الحادثة و ما بعد الحادثة من أهم القضايا التي أثارت اهتماما كبيرا و جدلا واسعا ليس في مجال النقد الأدبي فحسب، بل في معظم مجالات الفكر الإنساني، إنها قضية يشوبها الكثير من اللبس و الغموض كونها تجسد صراعا فكريا و ماديا نشأ نتيجة بلوغ الإنسان مرحلة التطور الفكري و التقدم المادي، كما يرجع سبب تعقيدها أيضا إلى ارتباطها بحقول معرفية عديدة واستخدامها في مجالات مختلفة، و تعدد أبعادها، و شموليتها لمستويات كثيرة من الوجود الإنساني الأدبية و الفنية و الفلسفية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و العلمية و التقنية، والتداخل الكبير فيما بينها، وتأثيرها وتأثيرها في بعضها البعض.

إن الحادثة و ما بعد الحادثة إشارة إلى استمرارية الأشياء وعدم ثباتها، حيث تفرض صورا متجددة للإنسان والعقل، صور تختلف بل و تتناقض جذريا مع ما كان سائدا من قبل، تدعو إلى التغيير المستمر و الصيرورة الدائمة و اختيار المعايير القديمة و القيم التقليدية، و بهذا فإنها تشكل حركة نهوض و تطوير و إبداع هدفها تغيير أنماط التفكير والعمل.

ومن جملة الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا المقام: ما الحداثة؟ ما المقصود بما بعد الحداثة؟ فيم تمثلت جذورها التاريخية؟ ما هي أهم شعاراتها ومقولاتها؟ ما الأثر الذي تركته هذه المفاهيم الكبرى في عالمنا اليوم؟ هل حقاً استطاعت الحداثة وما بعد الحداثة السير بالإنسان نحو الصيرورة والتجديد والتقدم، أم أنهما سجنتاه في أقفاص متعددة بداية بسجن العقل والمركز وصولاً إلى سجن الفوضى والعدمية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها استعنا بالمنهج الوصفي محاولين الكشف عن أهم التحولات الفكرية الكبرى التي عرفها العقل الغربي منذ ما قبل الحداثة إلى ما بعدها.

أولاً . الحداثة

1) في مفهوم الحداثة Modernité

ليس من السهل القبض على تعريف واحد وشامل للحداثة، إنها من المصطلحات المتفلتة، ومن المفاهيم الغامضة، وهذا راجع إلى تشعب مجالاتها، فالحداثة ليست حداثة أدبية ونقدية فحسب بل حداثة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية " إن سؤال ما الحداثة سؤال متجدد في كل حين ، يرفض الانصياع والخضوع لأي جواب، فهو - دائماً- مهاجر لا يكاد يحط الرحال بمكان حتى ينتقل إلى غيره، في رحلة دائمة، فهو فلوت يأبى أن يمسك به، لأن في إمساكه قتلاً وقضاء على حرئته، هو الحاضر/ الغائب"¹

فالحداثة إذن مصطلح يشوبه الغموض، وتلفه كثرة التعريفات، إنه يتطلب مزيداً من الجهود العلمية لتحديد مفهومه ومضامينه، ولكن رغم كثرة التعريفات وتعددتها إلا أننا نلاحظ اتفاقها في أن الحداثة هي الرغبة في التغيير والابتكار، إنها ثورة على كل ما هو قديم، ثورة على الأفكار والمعتقدات التي سادت طيلة القرون الوسطى، ثورة على الكنيسة ورفض لسلطتها، ثورة على التقاليد الأدبية والنقدية السابقة "هكذا تمثلت الحداثة الأوروبية منذ بداياتها في الصراع مع المؤسسات الدينية، وقوانين الكنيسة والتقاليد الاجتماعية والمفاهيم الموروثة، ثم في مرحلة متأخرة مع التقاليد الأدبية لصالح مبادئ الحرية والفردية والابتكار والعفوية"²

¹ عبد الغني بارة : إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر-مقاربة حوارية في الأصول المعرفية-، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 2005، ص15

² خالدة سعيد : الملامح الفكرية للحداثة، مجلة فصول ، القاهرة، م، 4، ع، 3، 1984، ص27.

ومما يصعب تحديد مفهوم مصطلح الحداثة أيضا تداخله مع مصطلحات أخرى أبرزها الحداثية والتحديث ، فرغم اشتقاق هذه المصطلحات :

الحداثة Modernité والحداثية Modernisme والتحديث Modernisation من جذر واحد ألا وهو Modern إلا أننا نشهد اختلافا بين مضامينها، حيث يختلف معنى الحداثة عن معنى الحداثية، فالحداثة تشير إلى التغلّت وتجاوز الزمن، فنادت بالقطيعة المستمرة مع الماضي والتقدم والعصرنة، أما الحداثية أو الحداثوية فتشير إلى المذهبية، إنها منظومة فكرية مذهبية اتسمت بنزعة إنسانية، أما التحديث فهو ممارسة الحداثة على مختلف الأصعدة، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، إنه ممارسة واقعية للتجديد وقطيعة مع الماضي والتراث¹

على هذا الأساس إذن تكتسي كلمة الحداثية Modernisme طابع المذهبية والعقائدية، إنها جملة آراء وأفكار اتجاه الدين والإنسان والطبيعة، فهي تسعى جاهدة لصياغة مبادئ أساسية يقوم عليها الفكر الإنساني الحديث، بينما الحداثة تمثل تطلعا دائما ورغبة مستمرة في التجديد والابتكار، هي كما أسلفنا الذكر ثورة على كل ماهو قديم تقليدي، وفي هذا الصدد يحدد المفكر الفلسطيني هشام شرابي العلاقة بين الحداثة والنزعة الحداثية ويرى أن هذه الأخيرة تعني الوعي بالحداثة وتنادي بالأفكار التي تسعى إلى تغيير الذات والعالم بأسره²

بينما يحمل المصطلح الثالث "التحديث" Modernisation معنى مغايرا للمصطلحين السابقين، إنه متعلق بالجانب المادي الإنتاجي، أو بعبارة أخرى متعلق بجانب التقنية والمخترعات الحديثة التي جعلت العالم يقفز قفزة كبيرة نحو التطور والتقدم "إنه يعني مجموعة من العمليات المتراكمة التي تطور- في مجتمع ما - قوى الإنتاج وتعبئ الموارد والثروات وتنمي إنتاجية العمل"³

فالتحديث إذن تطبيق عملي للحداثة على أرض الواقع، وممارسة لها على مختلف الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

¹ ينظر : علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة، من فلسفة الذات الى فلسفة التواصل، هابرماس أنموذجا، منشورات الاختلاف/ الجزائر ودار الأمان الرباط، ط1، 2011، ص86-88

² ينظر: عزالدين الخطابي: أسئلة الحداثة ورهاناتها في المجتمع والسياسة والتربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، 1700.

³ فتحي التريكي، رشيدة التريكي: فلسفة الحداثة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 2002، ص09.

2) الجذور التاريخية للحدائفة:

لم ينشأ مصطلح الحدائفة من الفراغ والعدم، فهو كغيره من المصطلحات له جذوره وظروفه التاريخية التي ساهمت في نشأته، له مناخه الفكري الذي سبق ظهوره ومهد له، ولا بد أن نسلم بكل المعطيات الفلسفية والتاريخية التي أوجدت الحدائفة ولعل أبرز هذه المعطيات هي:

- الفلسفة التجريبية على يد جون لوك (John loke) و دفيد هيوم (David hume)
- الفلسفة العقلية المثالية على يد إيمانويل كانط (Immanuel kant) و رينيه ديكارت (Renier decartes)

أ) الفلسفة التجريبية: العلم التجريبي والتفسير الخارجي (المادي):

إذا كانت الكنيسة قد سيطرت على الإنسان الغربي في عصور الظلام، وقيده بقيد التفكير الخرافي الأسطوري، فإن هناك العديد من الفلاسفة والعلماء قد رفضوا أقوالها وشعاراتها، رفضوا الرضوخ لما تفرضه، ورأوا أن هذا العالم الذي نعيش فيه ليس عالماً مغلقاً يلفه الغموض وتحيط به الأساطير من كل جانب بل هو عالم مفتوح يجب أن يخضع للتجربة والملاحظة والاختبار ويعد كل من " فرانسيس بيكون، وغاليليو، وجون لوك، وديفيد هيوم من العلماء الذين ارتبط اسمهم بالفلسفة التجريبية، لما لهم من كبير فضل على المجتمع الغربي آنئذ إذ تمكنوا من دحض أباطيل الكنيسة وترهاقها القائمة على التفسير الأسطوري اللاهوتي، لقد أصبحت الطبيعة كتاباً مفتوحاً، بل كتاب الكتب الذي سيحل محل الكتاب المقدس".¹

لقد دعا فلاسفة المنهج التجريبي إلى الشك المنهجي، الشك الذي هو الأساس في تبديد ظلام المعتقدات السائدة والخطئة التي رفعت إلى مرتبة القدسية في العصور الوسطى المسيحية، وهنا تمثلت واحدة من أهم لحظات الحدائفة ومقوماتها في الحضارة الغربية، فمع الفلاسفة التجريبيين أصبحت الطبيعة كتاباً مفتوحاً خاضعاً للتجارب، إنها- أي الطبيعة- حسب آرائهم تتكون من عناصر جزئية تربطها علاقات داخلية، ولإدراك مادة من مواد الطبيعة و فهمها لا بد من التركيز فقط على علاقاتها الداخلية والجزئية المكونة لها، وهذا ما قامت عليه الدراسات النقدية البنيوية فيما بعد، حيث أنها أبعدت كل الفروض والاحتمالات الخارجية، وصبت جل اهتمامها

¹ عبد الغني بارة: إشكالية تأصيل الحدائفة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص 49.

على النص الأدبي فقط، وعلى أجزائه المكونة له، ولهذا أصبح الإنسان حبيس ذلك النص، وسجين نسقه، فقتل مؤلفه، وأعدمت ظروف نشأته كلها التاريخية والنفسية والاجتماعية، فغدا ابن لحظته، وابن أجزائه ومكوناته الداخلية، لا ابن مؤلفه وسياقاته الخارجية. وفي هذا الصدد يقول صلاح فضل صاحب كتاب . مناهج النقد المعاصر. " يرتكز النقد في دراسة الأدب باعتباره ظاهرة قائمة في لحظة معينة شاملة تمثل نظاما شاملا، والأعمال الأدبية تصبح حينئذ أبنية كلية ذات نظم، وتحليلها يعني إدراك علائقها الداخلية ودرجة ترابطها والعناصر المنهجية فيها ... ومن هنا سنجد أن العنصر الجوهرى في العمل الأدبي هو الذي لا يرتبط بالجانب الخارجى، سواء بالمؤلف أو سياقه النفسى ولا بالمجتمع وضروراته الخارجية ولا بالتاريخ وصورته، وإنما يرتبط بما بدأ البنيويون يسمونه بأدبية الأدب أي تلك العناصر التي تجعل الأدب أدبا " ¹

لم يكتف الفلاسفة التجريبيون بدحض أباطيل الكنيسة، والقول بأن الطبيعة كتاب مفتوح خاضع للتجربة، ولتفسيره لا بد من إبعاد كل العوامل الخارجية لم يكتفوا بهذا فحسب، بل وأبعدوا العقل كذلك في تفسير الكون والطبيعة، حيث قالوا أن الحقيقة لا تكمن في العقل كما يرى أصحاب الفلسفة العقلية، بل الحقيقة كامنة في التجربة الحسية، إن هذه الأخيرة في نظرهم أساس الوصول إلى المعرفة واليقين، إنها الأصل الذي ينطلق منه في فهم الظواهر وتفسير الأشياء أو هذا ما أكده جون لوك وديفيد هيوم، حيث زادا من تعميق البعد التجريبي الذي أرساه أسلافهم في القرن السابع عشر، فالتجربة الحسية أساس المعرفة عندهما، كل شيء قابل للتصديق يجب أن يخضع للملاحظة والتجربة. ²

انطلاقا مما سبق، يمكن التأكيد أن الفلسفة التجريبية تعد من أهم المعطيات التاريخية التي أوجدت الحداثة ومهدت لظهورها.

ب) الفلسفة العقلية المثالية (النسق المغلق):

إذا كان الفلاسفة التجريبيون يرون أن الحقيقة تكمن في الخارج (الطبيعة) ولا بد من التجربة الحسية للوصول إليها، فإن الفلاسفة العقلانيون يخالفونهم الرأي، ويرون أن الحقيقة كامنة في (الداخل) ويقصدون بالداخل (العقل) الذي له القدرة على بلوغ حقيقة الأشياء، إن أنصار هذا الاتجاه، وعلى رأسهم: ديكارت وكانط وهيغل،

¹ صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، دط، دت، ص 87-88.

² ينظر: عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص 51.

يتفقون على إبعاد كل العوامل الخارجية، وهذا ما قامت عليه البنيوية والدراسات الحديثة فيما بعد كما أسلفنا الذكر، ويعتبرون العقل الوسيلة الوحيدة لمعرفة كنه الأشياء وسبر أغوارها، فها هو ذا ديكارت يعتبر الانسان ذاتا وبدنا وعليه أن يفصل ذاته عن بدنه ليصل إلى الحقيقة/ المعنى، وفي ذلك يقول " فعرفت من ذلك جوهر كل ماهيته أو طبيعته لا تقوم إلا على الفكر ولا يحتاج في وجوده إلى أي مكان، ولا يتعلق بأي شيء مادي بمعنى أن " الأنا " أي النفس التي أنا بها ما أنا متميزة تمام التميز عن الجسم، لا بل إن معرفتنا بها أسهل، ولو بطل وجود الجسم على الإطلاق لظلت النفس موجودة بتمامها"¹

فديكارت يعتبر ذاته المفكرة الوسيلة الوحيدة للوصول إلى حقائق الأشياء، ولا علاقة لبدنه الحسي المادي في ذلك، لقد أسس ما يعرف "بالكوجيطو" أو "الذات المفكرة" التي تأخذ على عاتقها مهمة التفكير وتفسير الظواهر دون حاجة للبدن ولمساعدته.

كما استطاع كانط على غرار ديكارت أن يوجه النقد للفلاسفة التجريبيين ولما جاؤوا به من أفكار ونظريات، فهو يؤكد أن العقل ملكة قادرة على الوصول إلى الحقيقة، إنه . أي العقل - يملك من القوانين ما يجعله يستغني عن كل معين خارجي، وهنا ظهر ما يعرف بالتعالي الكانطي، أو "الذات المتعالية" ولكن الذات المتعالية عنده تختلف عن الذات المفكرة عند ديكارت، ففي الحين الذي أنكر فيه ديكارت الأشياء الخارجية الحسية تمام الإنكار، ولم يعتبرها ذوات يمكن إدراكها، لم تنكر مثالية كانط ذلك بل منحت الأشياء حق الوجود والاستقلال، لكن يبقى العقل هو الشرط الأساسي للوصول إلى حقائقها، والتجربة تدرك داخله وليس بعيدا عنه، وعن الاختلاف بين مثالية ديكارت ومثالية كانط يقول عبدالله إبراهيم في كتابه "المركزية الغربية . إشكالية التمركز والتكون حول الذات": "فمثالية كانط تتمثل العقل ملكة مشروعة للأشياء، وتجعل قوانينه الضرورية الكلية شرطا لا غنى عنه لإمكان التجربة، وبهذا استطاع أن يتغلب على التعارض القائم بين العقل والتجربة في الفلسفات السابقة، ففي نظره لم يعد هناك عقل في جانب وتجربة في جانب آخر، بل إن العقل عنده أصبح "مباطنا" للتجربة "كامنا" فيها وشرطا لها"²

¹ آلان تورين : نقد الحدائث، تر: أنور المغيث، المجلس الأعلى للثقافة المطابع الأمريكية، القاهرة، ص57.

² عبدالله إبراهيم: المركزية الغربية، إشكالية التمركز والتكون حول الذات، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997، ص91.

إن هيمنة العقل وسيادته تشكل منطلقا هاما من المنطلقات الحقيقية للحدثة وأساسا من أسسها المركزية، فإقرار الفلسفة العقلية المثالية فكرة الحقيقة/ المعنى الكامن داخل العقل، قد وضعت مبدأ من مبادئ البنيوية القائل أن الحقيقة/ المعنى تكمن داخل النسق/ اللغة وليس خارجه.

كانت هذه إذن أهم الجذور التاريخية والمعطيات الفكرية لنشأة الحدثة الغربية وتبلورها، لقد أسست هذه الآراء والنظريات صرح التفكير الحداثي الغربي، ووضعت مبادئه وأسسها، ورغم ما يلاحظ عليها من تناقض وتعارض إلا أنها تخفي تحت أثوابها تجانسا و تناسقا مرده دائما إلى المركزية الغربية، هذه الأخيرة التي نادى بها العالم الغربي، وحاول تكريسها، بإقرار تقاليد جديدة ونظريات حديثة سميت بثقافة (الغرب/المركز).

3) الحدثة: شعاراتها ومقولاتها:

قامت الحدثة على جملة من المبادئ والمرتكزات، ونادت بمجموعة من الشعارات والمقولات اعتبرت فيما بعد الأساس الثابت لها، وسنحاول في هذا العنصر عرض أهم مقولات الحدثة أبرزها.

أ) العقلانية:

بما أن الحدثة قامت على دحض وإبطال أقاويل الكنيسة وترهاتها فإنها لا محالة ستنادي بأهم ما يمكنه دحض هذه الأقاويل والخرافات ألا وهو العقل، هذا الأخير الذي اعتبر مجال تحرك الخطاب الحداثي، فالحدثة مرتبطة بالعقل والعقلانية أيما ارتباط، وإذا اعتبرنا العقل " مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة [...] هذه الوظائف تملك القدرة على استيعاب المقولات وتحصيل المعرفة العلمية في مقابل المعرفة المستندة إلى الوحي والإيمان"¹ فإن حضور مصطلح الحدثة يستدعي بالضرورة حضور مصطلح العقلانية، ولا يمكن للنظام الحداثي الغربي أن يستمر دون التفسير العقلاني العلمي للأشياء والظواهر " لقد حاولت الحدثة علمنة المعرفة بإزالة الأوهام التقليدية، ورأت أن هذه العملية من شأنها تحرير الإنسان، لذلك سادت في مشروع الحدثة مفاهيم وقيم الإبداع والاكتشاف العلمي والتميز الفردي، فنادت بشعارات خلاصة مثل: الحرية، المساواة، الإيمان بقدرة الإنسان العقلية"²

¹ جلال الدين سعد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر تونس، دط، 2004، 29100.

² ينظر: ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000، ص140.

لقد اعتبر الحداثيون العقل إلههم المقدس الذي له مطلق القدرة على الوصول إلى حقائق الأشياء ومكامن الأمور، إنه الإله الذي لا يقع في الخطأ والزلل وذلك لأنه يجعل من المنطق والعلم قواعده الثابتة التي لا يزيح عنها، ولا يستبدلها بقواعد أخرى.

ب) التجريبية:

لقد رأينا سابقاً أثناء الحديث عن الجذور التاريخية للحداثة أن الفلسفة التجريبية التي تبلورت على يد "فرايسيس بيكون" و"غاليليو" و"جون لوك" و"دفيد هيوم" قد شكلت مرتكزاً هاماً من المرتكزات التي قامت عليها الحداثة، حيث أن الفلسفة التجريبية وعلى غرار الفلسفة العقلية دعت إلى إبطال ما نادى به الكنيسة من شعارات، وسعت جاهدة إلى إبعاد كل العوامل الخارجية في تفسير الظواهر الكونية، والاعتماد فقط على الملاحظة والتجربة العميقة، وقد عجلت هذه النظرة العلمية الجديدة " بانتهاء الكون الأرسطي ذو الطبقات المتدرجة [...] وفتحت الطبيعة أبوابها للبحث العلمي مع اكتشاف أنها هي ذاتها تعمل وفقاً لقوانين رياضية " ¹ وهنا كانت التجربة مركز اهتمام الحداثيين وشعاراً هاماً من شعاراتهم التي نادوا بها ودافعوا عنها، فهم أرادوا إبعاد كل ماهو خرافي غيبي في فهم الكون وتفسيره والاستناد فقط إلى ما هو علمي واقعي ملموس خاضع للملاحظة و الفرضية والتجربة.

يمكن اعتبار العقلانية والتجريبية إذن من أبرز المقولات التي نادى بها الحداثة، لكن ليستا المقولتين الوحيدتين، بل نادى الحداثة كذلك بمقولات أخرى لا تقل أهمية عن العقلانية والتجريبية، كمقولة الحرية وتأكيد دور الإنسان الحر في مختلف جوانب الحياة، فالإنسان في نظر الحداثيين أهم كائن في العالم الطبيعي، إنه الكائن القادر على بلوغ الحقيقة واليقين، وإمارة اللثام عن كل ما يكتنف الكون من غموض ولبس، كما نادى بمقولة التطور والتقدم، فهي لا ترضى بالثبات بل تسعى جاهدة إلى تحقيق الرفاه الإنساني ورسم مستقبل أفضل في جميع المجالات وشتى الميادين، لقد تمحورت شعاراتها حول مثاليات مغرية كالتطور، التقدم، الرفاه الإنساني، المستقبل الأفضل، التحصيل المعرفي، الصناعة، تطور الدولة. ²

¹ جيمس بيرك: نقلاً عن محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي: الحداثة، منشورات توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص09.

² ينظر: ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص140 .

ثانيا . ما بعد الحداثة

1) في مفهوم ما بعد الحداثة Post modernite

لقد صعب علينا تحديد مفهوم الحداثة في عنصر سابق، وهو الأمر ذاته الذي نواجهه في هذا العنصر، فليس من السهل ضبط مفهوم ما بعد الحداثة خاصة من الجانبين الأدبي والنقدي، وذلك لأن ما بعد الحداثة تجاوزت مجال الأدب والنقد إلي غيرها من المجالات، فهي ليست ما بعد حادثة واحدة بل ما بعد حداثات، أدبية ونقدية واجتماعية وثقافية وفنية وعمرانية... " إن اصطلاح ما بعد الحداثة يكتسب أبعادا مختلفة بانتقاله من مجال إلى آخر فمعنى ما بعد الحداثة في عالم الهندسة المعمارية يختلف عن معناه في مجال النقد الأدبي أو العلوم الاجتماعية"¹

إن ما بعد الحداثة ردة فعل على الحداثة وتجاوز لمقولاتها ومضامينها، فما بعد الحداثة أسلوب جديد من أساليب التفكير الغربي، هذا الأسلوب يظهر تشكيكا في الأفكار السابقة التي نادت بها الحداثة، كإمكانية الوصول إلى الحقيقة /المعنى وهيمنة العقل وتفوق الإنسان وحرته المطلقة، يمكن تحديد ما بعد الحداثة إذن على أنها " أسلوب في الفكر يبدي ارتيابا بالأفكار والتصورات الكلاسيكية كفكرة الحقيقة والعقل [...] هي ترى العقل بخلاف معايير التنوير هذه بوصفه طارئاً عرضياً بلا أساس، متبايناً، بعيداً عن الثبات"²

فإذا كانت الحداثة ثورة على الفكر الغيبي المثالي، ورفض لما تمليه الكنيسة وتؤمن به، فإن ما بعد الحداثة ثورة على الفكر الحدائثي ذاته، إنها دعوة صريحة لتقويض مبادئ الحداثة وزعزعتها، فهي ترفض الانصياع للعقل، ولا تؤمن بعلمنة المعرفة، وتتجاوز فكرة الوحدة والثبات والنظام بل تنادي بالتعدد والتنوع والتشظي واللانظام والفوضي، إنها تعيد النظر في الكثير من المسلمات والمقولات التي تعارف عليها الفكر الغربي قديماً وحديثاً، " لقد آمنت ما بعد الحداثة بالسطح والسطحية، وحاربت النخبة والنخبوية، وحاربت الفوارق والفواصل، وحاربت العرف والتقليد الثقافي واهتمت بأشكال التعددية، واحتفلت بنموذج التشظي والتشتيت كمقابل لشموليات الحداثة وثوابتها"³، ففي الحين الذي اهتمت به الحداثة الغربية بالمركز فقط، وبفئة النخبة و أبعدت كل ماهو هامشي

¹ عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص81.

² تيري إيجلتون: نقلا عن محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي: ما بعد الحداثة -تحديدات- دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص10.

³ ينظر: ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص142.

جانبي، سعت ما بعد الحداثة جاهدة إلي الاعتناء بالهامش أيما عناية ورفعته إلى مستوى المركز، بل ومحت كل الفوارق بينهما.

إن مفهوم ما بعد الحداثة عصي على القبض عليه والإلمام به، شأنه في ذلك شأن بقية المفاهيم والمصطلحات النقدية المعاصرة له، فلا يمكن ادعاء الوصول إلى المعنى الحقيقي لما بعد الحداثة، كما لا يمكن ادعاء معرفة الزمان والمكان الأوليين اللذين أطلق فيهما هذا المصطلح، " فهناك من يعيد المفردة إلى المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي عام 1954، وهناك من يربطها بالشاعر والناقد الأمريكي تشارلس أولسون في الخمسينيات الميلادية، وهناك من يحيلها إلى ناقد الثقافة ليزلي فيدلر، ويحدد زمانها بعام 1965، على أن البحث عن أصول المفردة أفضى إلى اكتشاف استخدامها قبل هذه التواريخ بكثير، كما في استخدام جون واتكنز تشيمان لمصطلح " الرسم ما بعد الحداثي " في عقد 1870 وظهور مصطلح ما بعد الحداثة عند رودولف بانفتر في عام 1917"¹ إذن يعد الاتفاق حول مفهوم ما بعد الحداثة وزمان ومكان بدايتها أمرا صعبا إن لم يكن مستحيل التحقيق، وما يمكن الاتفاق عليه فقط هو تلك الملامح العامة والسمات الواضحة التي اتسمت بها ما بعد الحداثة والتي سنعرضها في عنصر لاحق

(2) الجذور النيتشوية لما بعد الحداثة:

إذا أردنا عرض السياق التاريخي الذي هيا لتبلور الفكر ما بعد حداثي سنجد أنفسنا أمام الهجوم القوي الذي شنه نيتشه على الحداثة ومشروعها، وهيمنة العقل الغربي ومركزيته، حيث أعلن نيتشه رفضه لكل أسس الحداثة ومركزاتها، وصب سهام نقده نحو ما قام عليه الفكر الأنواري الحداثي فرأى بضرورة التشكيك في الحقيقة، هذه الأخيرة التي اعتبرها وهما من الأوهام، كما اعتبرها نسبية وليست مطلقة، ففي نظره لا وجود لحقيقة مطلقة وكلية، كما لا يوجد تفسير نهائي للأشياء بل كل ما هو موجود مجرد تأويلات متعددة وقراءات متنوعة " فاقترح التأويل بدلا عن التفسير والنقد، فمقولات من مثل التأويل والمنظور والاختلاف يقول دريدا ساهم بها نيتشه، فالمشروع النيتشوي جاء من أجل تحرير الدال الجسد من المدلول المثالي السابق أو الروح"²

¹ المرجع السابق، ص 138 .

² مجموعة مؤلفين: خطابات ما بعد في استفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 147.

يعد نيتشه من أوائل المشككين في القيم الثقافية التي قام عليها الفكر الفلسفي الغربي وتمركز حولها، إن شكه في هذه القيم قد سبق بشك أعظم منه، ألا وهو التشكيك في المنطلقات والمسلمات الكونية حيث شك في وجود الإله، ولم يكتف بالشك في وجوده فقط، بل وأعلن موته فيما بعد، إذ يصرح قائلاً " نحن رواد المعرفة اليوم ومضادو الميتافيزيقيين نفتخر بأنه لا وجود لله"¹ فنيته وبنزعتة الفوقية المعروفة والمعهودة يعتبر نفسه رائداً من رواد المعرفة الذين يرفضون ما نادى به الميتافيزيقا الغربية وما أرساه فلاسفتها ومثاليوها من إعلاء للذات والذاتية وتبجيل للعقل والعقلانية، وإقرار بالمركز والنخبوية، إنه ينادي بخلاف ذلك تماماً، ينادي باللاعقل، ويحتفي بالجنون، ويعلي من شأن الهامشي والشعبي، وهنا " يمكن التأكيد بكامل الشرعية أن ما بعد الحداثة الفلسفي ولد في كتابات نيتشه"²

إذا كان لما بعد الحداثة مرجعها الفكري والفلسفي، فإن لها كذلك مرجعا وأساسا ماديا قامت عليه، فقد ارتبطت بتطور الرأسمالية الغربية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، كما ارتبطت بتطور وسائل الإعلام وثورة الاتصالات والمعلوماتية، كما ساهمت التحولات السوسولوجية والتاريخية التي عاشها المجتمع الغربي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أي منذ منتصف القرن الماضي في بروز أسلوب جديد في العيش قائم على الاستهلاك والتبذير، ومرتبطة بالهامش ومعتمد على التفكيك والحفر واستنادا إلى ذلك يمكن القول إن " ما بعد الحداثة تقترن بالثقافة الدنيا وتهاجم فنون الماضي، وتحاكيها بسحرية، وترتبط بالتفكيك والنزوع إلى الاستهلاك والتلفزيون ودوائر المعلومات"³

3) ما بعد الحداثة: شعاراتها ومقولاتها:

تستند ما بعد الحداثة في الثقافة الغربية إلى مجموعة من المكونات والمرتكزات الفكرية والذهنية، والفنية والجمالية، والأدبية والنقدية مما يجعلها ترفع شعارات عديدة وتنادي بمقولات جديدة ومختلفة لم يكن للفكر الغربي عهد بها في العصر الحداثي، ويمكن حصر هذه الشعارات كالآتي:

أ) التقويض وتفكيك المقولات المركزية الكبرى:

¹ ينظر: ريتشارد ورمبراند: جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعي، ص34-35

² فاتيمو: نهاية الحداثة، ص184، نقلا عن مجموعة مؤلفين: خطابات ما بعد في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية، ص151 .

³ بيتر بروكر: الحداثة وما بعد الحداثة، تر، عبد الوهاب علوب، منشورات الجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1995، ص13.

إن نظرية ما بعد الحداثة سعت جاهدة لتقويض الفكر الغربي وذلك من خلال تفكيك مقولاته المركزية الكبرى القائم عليها، والتشكيك فيها، كرفضها الاعتراف بثنائيات (المدلول والمدلول) (اللسان والكلام)، (الحضور والغياب)، ورفضها لمبدأ الشمولية والكلانية، ورفضها لفكرة الثبات وفكرة مركز ومرجعية يستند إليها في كل شيء "إن المشروع ما بعد الحداثي هو محاولة للقضاء على خرافة الميتافيزيقا عن طريق القضاء على خرافة الحقيقة الكلية، فالعالم في نظر ما بعد الحداثيين في حالة حركة دائمة وتغيير دائم، ولكنه ليس بالضرورة تطور ذا معنى وقصد، كل هذا يعني غياب أي مركز أو مرجعية ومن ثم أية ثنائية"¹

ب) الفلسفة العدمية والفوضى:

إن فلسفات ما بعد الحداثة فلسفات عدمية وفوضوية تنادي بالانحطاط و اللانسجام، فإذا كانت فلسفة الحداثة تبحث عن النظام والانسجام وتهدف إلى توحيد النصوص والخطابات وإيجاد نموذج كلي وشمولي وواحد ترجع إليه كل النماذج الأخرى، فإن ما بعد الحداثة ترفض ذلك، إنها ميل ونزوع نحو التحرر والتفكك تأبي الثبات والنمذجة " لقد غيرت ما بعد الحداثة من القوالب الجاهزة وبعثت القواعد والقوانين والأنظمة التي تبني الخطابات الفكرية والفنية والعلمية أيضا."²

ج) الغرابة والغموض:

إذ كانت الحداثة تسعى للوصول إلى الحقيقة والمعنى الكامنين . حسب رأي البنيوية - في النص وحده لا غير، والناجحين عن ترابط بنياته الداخلية وتكاملها فإن ما بعد الحداثة ترى أنه لا وجود للحقيقة والمعنى إطلاقا، لا داخل النص ولا خارجه، إنها تتميز بالغرابة وغموض الآراء والمواقف، فكتابات ما بعد الحداثيين تخلق بالقارئ نحو عالم المجهول، يجد نفسه فيه أمام دلالات عاتمة غير محددة متفلتة يصعب الإمساك بها، فتفكيكية دريدا مثلا مازالت مبهممة وغمامضة ومن الصعب فهمها " إن أسلوب دريدا غامض لأنه انطلاقا من فلسفة التفكيكية التقويضية يبذل أقصى جهده ليحطم حدود الكلمات والجمل و المعاني، ليفرض عليها معان جديدة، ما يفعله

¹ ينظر : عبد الوهاب المسيري، فتحي التركي: الحداثة وما بعد الحداثة، ص84-85

² جان فرانسوا ليونار: في معنى ما بعد الحداثة، نصوص في الفلسفة والفن، تر، السعيد لبيب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2016، ص07.

دريدا هو أنه يغمر القارئ بفيض الكلمات ليخلق حالة من السيولة لا علاقة لها بالواقع (انفصال حقيقي للدال عن المدلول)¹

(د) الانفتاح وإعادة الاعتبار للسياق والنص الموازي:

عملت البنيوية والسيميايات جاهدتين على إقصاء السياق الخارجي والمرجعي في رحلة البحث عن المعنى، فقتلت الإنسان وألغت التاريخ وأبعدت المجتمع، لتأتي ما بعد الحداثة وتعيد الاعتبار للمؤلف والقارئ والسياق التاريخي والاجتماعي. والسياسي والاقتصادي، وليس أدل على ذلك وجود عدة نظريات ما بعد حداثة اهتمت بالسياق والمؤلف والمتلقي كالنظرية التأويلية، وجمالية التلقي، والنقد الثقافي ونظرية ما بعد الاستعمار، والتاريخانية الجديدة، إن ما بعد الحداثة وسيلة للتعايش والتفاعل والانفتاح، فهي "تسعى إلى تأصيل النص وانفتاحه وإنكاره للحد والحدود، مما يجعله يقبل التأويل المستمر والتأطير المتحول أبدا، وينجم عن هذه النصوصية لا نهائية النص ولا محدودية المعنى، وتعدد الحقائق والعوالم بتعدد القراءات"²

(هـ) التناسق وتحطيم الحدود بين الأجناس الأدبية:

جاءت ما بعد الحداثة لتحطيم قواعد التجنيس والتصنيف الأدبي، فلم تعترف بالحدود الأجناسية، ولا بالنص المستقل بل قالت بأن النص يتفاعل ويتداخل نصيا مع النصوص الأخرى، إما بامتصاصها أو تقليدها أو التمازج معها، "فالنص لا حدود له ولا مركز، غارق تماما في عالم الصيرورة"³

إن ما بعد الحداثة تقر بأنه كلما توغلنا في البحث عن المعنى كلما تاهت خطواتنا، وازدادت حيرتنا، و تفاقم قلقنا لأن المعنى الذي نبحث عنه ليس وليد لحظة راهنة، ولا نتاج تجربة شخصية بل هو نتيجة حتمية لتفاعل وتداخل عدة معاني وعدة نصوص.

¹ عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، ص 73، ص 75.

² ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص 143.

³ عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة و ما بعد الحداثة، ص 106.

ثالثا: الحداثة وما بعد الحداثة نقد ومساءلة:

جاءت الحداثة لتحرر الإنسان الغربي من سلطة الكنيسة وجبروتها وتعيد له مكانته وكرامته المهانة من طرف رجال الدين وخدام الكنيسة الذين جعلوا منه عبدا مقيدا مسلوب الحرية لا قيمة له ولا تقدير لأفكاره وآرائه، فنادت بضرورة إعادة الاعتبار له، إنه في نظرها مركز الوجود وسيد الطبيعة يملك عقلا قادرا على تفسير كل الظواهر، وبلوغ كل الغايات والحقائق، فأعلنت من شأنه أيما إعلاء، وبجلته بالغ التبجيل لتجلى بذلك شعاراتها وتبلور واضحة للعيان، وعلى رأسها العقلانية والذاتية " لقد شكلت العقلانية Rationalisme بتفريعاتها المختلفة أهم مقولات الحداثة الغربية، بل إن هناك ارتباطا وثيقا بينهما أعطى لذاتية العقل الانساني صفة التأسيس لموضوع الموضوعات وتم بهذا إرجاع كل معرفة إلى الذات المفكرة، حتى أصبحنا أمام عقل أداتي يخضع كل شيء لأحكامه وقدراته القبلية"¹

تمحورت شعارات الحداثة كذلك- وكما أسلفنا الذكر- حول مثاليات مغربية أبرزها: التطور والتقدم الصناعي، التحصيل المعرفي، الرفاه الإنساني، سعيها لتحقيق مستقبل أفضل يكون فيه الإنسان سيدا على كل شيء، كما اهتمت أيضا بالتقنية، فكان عصرها عصر التكنولوجيات والاكتشافات التي تراها أنها السبيل الوحيد لراحة الإنسان وسعادته.

نعم لقد حررت الحداثة الإنسان من سلطة الكنيسة وقيودها، إلا أنها سجنته في سجن آخر، ووضعته في أقفاص عبودية جديدة، هي عبودية العقل والعقلانية، كما ترتبت عن التقنية التي طالما سعت الحداثة لتكريسها آلام ومأس خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، فانتشر الخراب والدمار والرعب على مستوى العالم كله "فعلى الرغم من بريق ومثالية هذه الشعارات إلا أن الحداثة اصطدمت بالحياة الواقعية، إذ كانت حصيلتها لسعادة الإنسان حروبا ومشاحنات واستعمار وإرهاب وهيمنة وقمع وطبقية وقنابل ذرية وظلم اجتماعي"²

كما ساد الفساد وانحلت الأخلاق وتراجعت القيم، وفصلت روح الإنسان عن جسده، وألغيت كل مبادئه وقيمه خدمة لعقله الأداة وإشباعا لنهمه وجشعه الاقتصادي والصناعي، فأصبح عبدا للعقل ومقدسا للعقلانية، وتحلى عن إنسانيته بكل ما تنطوي عليه من كرامة وخصوصية، وهنا فقدت الحداثة قدرتها على تحرير الإنسان بعد أن أدت دورها التاريخي، وفي هذا السياق يقول آلان تورين " بقدر ما تنتصر الحداثة، بقدر ما تفقد قدرتها على التحرير، إن دعوة التنوير مؤثرة عندما يكون العالم غارقا في الظلام والجهل والعبودية"³

¹ فني منصورية : خطاب الحداثة وما بعد الحداثة من خلال جدلية الخفاء والتجلي لكمال ابو ديب والنقد الثقافي لعبد الله الغدامي، رسالة ماجستير، جامعة سطيف2 سنة 2013/2014، ص46.

² ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص141.

³ آلان تورين : نقد الحداثة، ص129.

لقد وضع العديد من النقاد والمفكرين الحادثة في قفص الاتهام، فعددوا مثالبها وآزقها التي وقعت فيها، وحاولوا البحث عن بديل لها، بديل يحرر الإنسان من جديد من ربكة العقل والعقلانية، ويرجع للجسد (الموضوع) مكانته، هنا ظهر مفهوم ما بعد الحادثة كنبش في الأسس وكسر للقوالب وخروج على النماذج، بل حاول هذا المفهوم خرق كل الأشكال السابقة وتدمير جل الأنساق السالفة، فجاءت ما بعد الحادثة كمعول للهدم والتقويض والتفكيك، هدم مقولات الحادثة وتعويضها بمقولات جديدة تقوم أساسا على إعادة الاعتبار للإنسان وتخليصه من الهيمنة العقلية والاستغلال التكنولوجي، وتحريره من عالم الأوهام والمثاليات، فقوضت بذلك المقولات المركزية للفكر الغربي بهدف بناء قيم جديدة، كما حاربت ثقافة النخبة والمركز التي طالما احتفت بها الحادثة وقدمتها، لقد اهتمت ما بعد الحادثة بالثقافة الشعبية وبكل ما هو هامشي، وآمنت بالتعدد في الآراء والاختلاف في وجهات النظر "قد لا يتفق المرء تماما مع شخص آخر، إلا أنه يدافع حتى الموت عن حقه في امتلاك وجهة نظر خاصة ومختلفة"¹

وفي الوقت الذي أبعثت فيه الحادثة النقدية المؤلف والمتلقي والسياق واهتمت بالنص فقط وبنياته المكونة له، جاءت ما بعد الحادثة لتعيد لهم الاعتبار، فرأت أن النص يتأثر ببيئته، وأن لمسة مؤلفه بادية عليه لاحتمال، وملتقيه النصيب الأوفر في تفسيره وتأويله، وهذا ما أدى إلى تعدد القراءات وتنوع وجهات النظر والرأي كما ذكرنا سالفا. رغم المزايا العديدة لما بعد الحادثة، والتي لا يمكن إنكارها إلا أن شأنها شأن الحادثة لا تخلو من مطبات وقعت فيها ومثالب أعيت بها، فبدعوتها للتقويض والهدم أوجدت الفوضى وأرست مبادئ خطيرة على الإنسانية كالعبث والتشتت واللاثبات واللائظام "إن نظرية ما بعد الحادثة تقوض نفسها بنفسها نظرا لطابعها الفوضوي والعدمي والعبثي"² ويتكرس هذه المبادئ عاد المجتمع الغربي يتخبط من جديد في براثن الفوضى والقيود، فمن قيد إلى قيد، ومن سجن إلى آخر، من سجن الكنيسة والأوهام الخرافية إلى سجن العقل والعقلانية مع الحادثة إلى سجن أعظم وأخطر ألا وهو سجن الفوضى والقلق والاضطراب، وهنا لم تقدم ما بعد الحادثة البديل الفعلي والحقيقي الذي ينقذ الإنسان بل فشلت كسابقتها "إن تيارات ما بعد الحادثة بقدر ما تعبر عن فشل الذاتية أو عن فشل الحادثة، هي أيضا تعبر عن فشلها في معالجة الحادثة، حيث لم تستطع هذه التيارات أن توفر الاطمئنان النفسي الاجتماعي وأن ترفع عن الإنسان القلق والتوتر، لم تستطع أن تقدم البديل الأفضل"³ والسؤال الذي يطرح نفسه أخيرا، هل العلاقة بين الحادثة وما بعد الحادثة علاقة نهاية أم اكتمال، تجاوز وتخطي أم تواصل واستمرارية؟

¹ أندرياس سوغستاد: ما بعد الحادثة سلبيا وإيجابيا، نقلا عن: النظرية النقدية في عصر ما بعد الحادثة: تر، عبد الله هوار، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2017، ص33.

² دفيد كارتر: النظرية الأدبية، تر: باسل المسئلة، دار التكوين، دمشق، ط 1، 2010، ص144.

³ ينظر- سالم القمودي: الإسلام كمجاوز للحادثة ولما بعد الحادثة، الانتشار العربي، لبنان، ط 1، 2008، ص127.

إن المتتبع لمسار الحداثة وما بعد الحداثة في الفكر الفلسفي الغربي يلحظ بينهما تعارضا واختلافا كبيرا حيث يبدو أن الأخيرة (ما بعد الحداثة) جاءت لتلغي الأولى (الحداثة) وتحل محلها، إلا أن الأمر ليس كذلك فمادامت الحداثة مشروعاً لم يكتمل كما يرى هابرماس فإن ما بعد الحداثة جاءت لتواصل مسيرة الفكر الغربي، ولتكمل مشروع الحداثة وتتمه، و" إن الحداثة محفورة في عمق ما بعد الحداثة"¹

خاتمة:

بعد الخوض في غمار الحداثة و ما بعد الحداثة، و محاولة سبر أغوارهما و استكشاف مكانتهما خالص البحث إلى جملة النتائج الآتية:

- الحداثة من المصطلحات المتفلتة و من المفاهيم الغامضة، و هذا راجع إلى تشعب مجالاتها، فهي ليست حداثة أدبية و نقدية فحسب، بل حداثة سياسية و اجتماعية و اقتصادية و ثقافية.
- الحداثة رغبة في التغيير و الابتكار، فهي ثورة على الأفكار و المعتقدات التي سادت طيلة القرون الوسطى، ثورة على الكنيسة و رفض لسلطتها و جبروتها، كما أنها ثورة على التقاليد الأدبية و النقدية السابقة.
- يتداخل مفهوم الحداثة مع مصطلحات أخرى أبرزها الحداثة و التحديث، فإذا كانت كلمة الحداثة تكتسي طابع المذهبية و العقائدية، فإن مصطلح التحديث متعلق بالجانب المادي الإنتاجي.
- لم ينشأ مصطلح الحداثة من الفراغ و العدم بل استند إلى معطيات فلسفية و تاريخية أبرزها الفلسفة التجريبية، والفلسفة العقلية المثالية..
- نادى الحداثة بمجموعة من الشعارات و المقولات اعتبرت فيما بعد الأساس الثابت لها على رأسها العقلانية والتجريبية.
- تعتبر ما بعد الحداثة ردة فعل على الحداثة و تجاوز لمقولاتها و مضامينها، إذ أنها أسلوب جديد من أساليب التفكير الغربي يظهر تشكيكا في الأفكار السابقة التي نادى بها الحداثة، كإمكانية الوصول إلى الحقيقة، و هيمنة العقل، و تفوق الإنسان و حرته المطلقة.

¹ محمد سبيلا، عبد السلام بن عبد العالي: ما بعد الحداثة تجلياتها وانتقاداتها، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص71.

- تبلور الفكر ما بعد الحداثي بعد الهجوم القوي الذي شهه " نيتشه " على الحداثة و مشروعها و هيمنة العقل الغربي و مركزيته.
- تستند ما بعد الحداثة في الثقافة الغربية إلى جملة من المرتكزات، و تنادي بمجموعة من الشعارات على رأسها: التقويض و تفكيك المقولات المركزية الكبرى، العدمية و الفوضى، الغرابة و الغموض، الانفتاح وإعادة الاعتبار للسياق و النص الموازي، التناس و تحطيم الحدود بين الأجناس الأدبية.
- تمكنت الحداثة من تحرير الإنسان من سلطة الكنيسة، إلا أنها سحنته في أقصاف عبودية جديدة، ألا وهي عبودية العقل و ما ترتب عنه من تقنية و تكنولوجيا، لقد ألغت كل القيم و المبادئ خدمة للعقل الأداقي.
- صحيح أن ما بعد الحداثة حاولت تخليص الإنسان من الهيمنة العقلية و الاستغلال التكنولوجي، و تحريره من عالم الاوهام و المثاليات، إلا انها و بدعوها إلى التقويض و الهدم و الغرابة أوجدت الفوضى وأرست مبادئ خطيرة على الإنسانية كالعبث و التشتت و اللاتبات و اللانظام.
- يبدو في الواقع وجود تعارض و اختلاف كبيرين بين الحداثة و ما بعد الحداثة، إلا أن الحقيقة عكس ذلك، إذ تعتبر ما بعد الحداثة تنمة و تكملة لمشروع الحداثة، هذا المشروع الخادم للفكر الغربي المعزز لمركزيته.

المصادر و المراجع:

1. أندرياس سوغستاد: ما بعد الحداثة سلبياتها و إيجابياتها، نقلا عن النظرية النقدية في عصر ما بعد الحداثة، تر: عبد الله هوار: دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2017.
2. آلان تورين: نقد الحداثة، تر: أنور المغيث، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأمريكية، القاهرة.
3. بيتر بروكر: الحداثة و ما بعد الحداثة، تر: عبد الوهاب علوب، منشورات الجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1995.
4. جان فرانسوا ليوتار: في معنى ما بعد الحداثة. نصوص في الفلسفة و الفن. تر: السعيد لبيب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2016.

5. جلال الدين سعد: معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، دط، 2004.
6. خالدة سعيد: الملامح الفكرية للحدائثة، مجلة فصول، القاهرة، م 4، ع 3، 1984.
7. دفيد كارتير: النظرية الأدبية، تر: باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق، ط1، 2010.
8. رتشارد و رمبراند: جواب المسيحية على الإلحاد الشيوعي، تر: عزت زكي، ط1، 1986.
9. سالم القمودي: الإسلام كمجاوز للحدائثة و لما بعد الحدائثة، الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2008.
10. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، دط، د ت.
11. عبد الغني بارة: إشكالية تاصيل الحدائثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر. مقارنة حوارية في الأصول المعرفية . الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 2005.
12. عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية . إشكالية التمركز و التكون حول الذات . المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997.
13. عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحدائثة و ما بعد الحدائثة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
14. عز الدين الخطابي: أسئلة الحدائثة و رهاناتها في المجتمع و السياسة و التربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.
15. علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحدائثة، من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، هابرماس أمودجا، منشورات الاختلاف/ الجزائر، دار الأمان/ الرباط، المغرب، ط 1، 2011.
16. فتحي التريكي، رشيدة التريكي: فلسفة الحدائثة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 2002.
17. فتحي منصورية: خطاب الحدائثة و ما بعد الحدائثة من خلال جدلية الخفاء و التجلي لكامل أبو ديب و النقد الثقافي لعبد الله الغدامي، رسالة ماجستير، جامعة سطيف2، 2013/2014.

18. مجموعة مؤلفين: خطابات الما بعد في استنفاذ أو تعديل المشروعات الفلسفية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.
19. محمد سييلا، عبد السلام بن عبد العالي: الحداثة، منشورات توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2007.
20. محمد سييلا، عبد السلام بن عبد العالي: ما بعد الحداثة - تحديات - دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2007، 1.
21. محمد سييلا، عبد السلام بن عبد العالي: ما بعد الحداثة تجلياتها و انتقاداتها، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2007.
22. ميجان الرويلي ، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي . إضاءة لأكثر من خمسين تيارا و مصطلحا نقديا معاصرا. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000.